م3: الزرداشتية

1ـ تمهيد:

لقد شغل الإنسان نفسه منذ القديم، وعلى مرّ العصور، بالبحث في الأسرار الخفية وراء الوجود، ولقد دفعته إلى هذا مجموعة من العوامل، ومن بينها: الفضول لمعرفة القوة الخارقة التي أوجدت العالم، أسباب الوجود في حد ذاتها، والرغبة في تنظيم العالم...

ونتيجة لهذا، لا يكاد يخلوا عصر من العصور من ظهور تيار فكري أو فلسفة أو ديانة، تسعى إلى البحث في الأسباب وتحاول الإجابة عن هذا السؤال الوجودي المحيّر. وفي كل مرة كان يجب على الإنسان أن يقتنع بتفسير ما، يضمن له إرواء الظمأ الوجودي الذي يبقى يلازم الإنسان ما دام حيا. وعلى هذا الأساس اختلفت المذاهب والفلسفات والديانات على مر العصور، حيث أن كل واحدة قدمت تفسيراتها.

1ـ زرداشت:

ينطق اسم زرداشت في اللغة الفارسية القديمة "زراشسترا"، ويجمع أغلب الباحثين أن موطن زرداشت هو إيران الشمالية، أي أذربيجان، ولقد انتمى إلى قبيلة ميديا Madia، وهي قبيلة آرية. أما عن تاريخ ميلاده، فيحدد بالتقريب سنة 660 ق م، عندما بلغ زرداشت سن السابعة، أرسله والده ليدرس عند (غورو بورجين كروس) الشيخ الحكيم من طائفة المجوس، فقضى معه ثمانية أعوام، تعلم إثرها مقررات عصره، ثم انتقل بعدها لتعلم بعض الأعمال كعلاج المرضى وإعداد الأدوية والزراعة...

لما بلغ زرداشت سن الخامس عشرة، ارتدى القميص المقدس ولبس الحزام، في إشارة واضحة إلى تعميده والتزامه بدين آبائه، حيث كانت هذه السن عند أهله منطلق التكليف، ليتزوج بعدها وينجب بنتا وولدين.

لم يهدأ البال لزرداشت لما رآه في مجتمعه، فقرر أن يعتزل بنفسه ويبحث في أسئلة روحية، من قبيل الخير والشر، في مسعى منه لمحاولة تحقيق السعادة للبشرية، فعاش بعيدا في جبل "سابلان" وظل على هذه الحال يفكّر في مثل هذه الأسئلة الوجودية المحيّرة.

وبعد هذه الخلوة الطويلة، خرج أخيرا زرداشت في سن الثلاثين لدعوة الناس إلى دينه، وحثّهم على ترك عبادة الأصنام، والالتزام بعبادة لإله "أهورامزدا" إله الخير، والالتزام بتعاليم التي أقرها.

2ـ الديانة الزرداشتية:

تعد الديانة الزرداشتية من أوائل الديانات الوضعية التي تبناها البشر، وتقوم أساسا حسب الدعوة الأولى لزرداشت، على الإعتقاد بالإله "أهورامزدا" (الرب الحكيم) الذي خلق السموات والأرض، وهو صاحب الرسالة التي نقلها زرداشت، وهو إله الخير، حيث إن روحه تمنح الحياة وتخلق كل شيء.

تقوم نظرة زرداشت إلى الحياة، على اعتبار الإنسان مخير بين إتباع الروح الشريرة أو الخيرة، وهما قوتين متعارضتين. وسبيل الكمال والخلود والتقوى هو التزام طريق الحق وإتباع هذه الروح الخيرة التي يمثّلها الإله أهورامزدا.

رغم إنكار زرداشت "للكثير من التراث القديم، إلا أنه لم ينسلخ عنه كلية، حيث إنه كتب عددا من أناشيده على نمط التراث القديم، ورأى في طقس النار القديم رمزا للنور وقانون الإله الكوني، وقد مارس ذلك في صلواته"[1].

---

[1]: فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان الزرداشتية المانوية اليهودية المسيحية، جزء 5، تر عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي، دار التكوين، ط6، دمشق، سوريا، 2018، ص13.

3ـ الكتاب المقدس:

كتاب الزرداشتيين المقدس هو "الأفيستا" أو "الأبستاق"، وهذا الاسم يعني البناء القوي. وعلى الأغلب فإنه لم يدون حتى القرن الخامس للميلاد، ويعتبر الأفيستا قانونا لتشريعات الزرداشتية التي تستند عليها حياة أتباعها. ويقال إن النص الأصلي كان موزعا على (29) كتابا، كتبت بماء الذهب، إلا أن الإسكندر الأكبر عندما غزا المنطقة أتلف أغلبها، ولم يبق من الكتاب إلا ربعه.

أما عن فحوى هذا الكتاب، فإن جل ما فيه يسعى إلى تحقيق الكمال الروحي عند الإنسان، وذلك بالاستناد على الفكرة الخيرة والكلمة الطيبة والعمل الصالح. والمؤكد حسب الباحثين أن الزرداشتيين استفادوا من العقائد والمذاهب والتيارات والديانات الموجودة أصلا قبلها، في محاولة منهم لتدعيم الدعوة إلى دينهم.

ولقد ظهر في القرن التاسع للميلاد "بعض الكتب الزرداشتية التي تدافع عن الديانة الزرداشتية ضد الديانة المسيحية والإسلامية، وتشرح الديانة عامة...، وكانت عبارة عن مقتطفات وملخصات وتعليقات على الأفيستا، وأصبحت هذه الكتب هي ما يحفظ المعتقدات القديمة"[1].

أما عن مصير الإنسان حسب الأفيستا، فإنه بعد الموت "توزن أعمال المرء بالميزان، إذا ما مالت كفة الخير على الشر عبر المرء إلى السماء، وعكس ذلك يذهب إلى الجحيم، حيث العقاب على قدر الإثم. لكن هذه ليست النهاية...، فالإله الطيب لن يسمح أبدا بأن يكون عذاب مخلوقاته أبديا، فالغاية من العقاب هو الإصلاح والتوبة..."[2]

---

[1]: المرجع نفسه، ص13.

[2]: المرجع نفسه، ص17.

4ـ تعاليم زرداشت:

تعتبر الزرداشتية دين وحدانية أخلاقية، جوهر القول فيها أن الشريعة تتطلب صلاحا بشريا صادرا من إله واحد خير، وتعد أول ديانة تحدثت عن الحياة الآخرة، أو حياة ما بعد الموت، وأنذرت بالقيامة والحساب، ولقد كانت "عموما دينا للسلوك القويم...، فدين زرداشت غضافة إلى ما فيه من قيم للسلوك فإنه توجه نحو المجتمع لإصلاحه"[1]

ويمكن أن نحدد تعاليم الزرداشتية فيما يلي:

ـ الإله أهورامزدا هو الذي دعا زرداشت إلى التبشير، والدين الذي تلقاه هو الدين الأخير ودين الحق.

ـ الولاء المطلق للإله الأوحد أهورمزدا باعتباره إله الخير الذي يسحق في النهاية الشر كله للأبد.

ـ الحياة عبارة عن صراع بين الخير والشر، أو بين دين الحق والباطل، ولقد بدأ هذا الصراع في اللحظة التي خلق فيها أهورامزدا العالم ومنح الحرية لمخلوقاته.

ـ روح الإنسان هي مركز الجهاد بين الخير والشر، والإنسان حر في فعله، أي أن له الحرية في الاختيار بين فعل الخير أو الشر.

ـ الناس الأخيار حسب زرداشت هم من قبلوا بدين الحق أما الأشرار هم أولئك الذين رفضوا هذا الدين.

ـ اعتمد زرداشت على طقس النار، وقدس هذه الأخيرة، باعتبارها هبة من الإله أهورامزدا.

ـ الاعتقاد بأن الصراع بين الخير والشر، سينتهي بانتصار الخير، حيث إن النهاية ستكون بعثا شاملا.

---

[1]: عبد الله مبلغي العباداني: تأريخ الديانة الزرداشتية، ترجمة عبد الستار قاسم كلهور، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، ط1، 2011، ص52.

5ـ انحراف الزرداشتية:

لقد حسم زرداشت مسألة تعدد الآلهة منذ بداية دعوته، حيث "أخذ يتحدث عن الإله الواحد "أهورامزدا" المجرد والذي هو واحد أحد، إله الفقراء والأغنياء...وهو الرب الواحد..."[1]، لكن دعوة زرداشت أخذت منحى آخر بعد موته، إذ اتجهت جماعة من مؤيديه نحو التثليث، حيث جعلوا "إله زرداشت الواحد الأحد المقتدر ثلاثة، وادعوا بأن زرداشت تفضل بالقول بأن النار هي شعار وإشارة إلى (ملائكة الأهورايي) لذا وجب تقديس النار وإجلالها. ثم بدأوا بجعل النار (الأهورايي) ثلاثة أقسام وأوقدوا ثلاثة نيران، واحدة في (أستخر) التي هي نار الروحانيين، واحدة أخرى كلنت في أذرابجان والتي هي للملوك والمقاتلين، والثالثة هي نار (ريوه ند) وهي نار للفلاحين والزراعيين، وبهذه الصورة أرجوا العبادة الوحدانية الزرداشتية من محتواها وعن جذورها"[2]، في إشارة واضحة إلى الحنين إلى الديانة المجوسية التي سبقت زرداشت والتي ركّزت على تقديس النار، حيث سعى كثير من أتباع زرداشت بعد موته إلى المزج بين طقوس المجوسية والزرداشتية، فوجدوا أنفسهم يحرفون الزرداشتية بهذا الإجراء.

---

[1]: المرجع نفسه، ص45.

[2]: المرجع نفسه، ص45.